Journal of Scientific and Human Dimensions
مجلة الأبعاد العلمية والإنسانية
Volume 1, Issue 2, 2025, Pages: 218-228
Journal homepage: https://jshd.com.ly/index.php/jshd/en

The Migration of Banu Hilal and Banu Sulaym: Their Settlement in Barqa and Tripoli and the Hostile Campaign Against Them

Dr. Khaled Misbah Alnasiri *
Department of History, Faculty of Arts, Bani Waleed University, Libya

هجرة بني هلال وبني سليم: استيطانهم في برقة وطرابلس والحملة العدائية ضدهم

د. خالد مصباح الناصري *
قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة بني وليد، بني وليد، ليبيا

*Corresponding author: khaled16101974@gmail.com

Received: September 14, 2025	Accepted: November 29, 2025	Published: December 11, 2025

Copyright: © 2025 by the authors. This article is an open-access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

Abstract:
This research aims to study the migration of the Banu Hilal and Banu Sulaym tribes to North Africa in the fifth century AH (11th century AD), focusing on the perspectives of historians who documented them, such as Ibn al-Athir, Ibn Adhari al-Marrakushi, and Ibn Khaldun. Ibn Khaldun is considered the most important historian who dealt with the Hilali migration, and the most influential on subsequent historians (Orientalists and Arabs). The research concluded by refuting the prevailing view adopted by the writings of some Orientalists and modern historians, which holds the Banu Hilal and Banu Sulaym tribes responsible for the political, economic, and social devastation and destruction of the region. Furthermore, the motives for the migration (political and economic) and the civilizational impact of the Hilali tribes were clarified, along with detailing the events of their control over Kairouan in 449 AH (1057 AD).

Keywords: Hilali Migration, Banu Hilal and Banu Sulaym, Civilizational Impact, Historical Bias, Barqa, Tripoli.

الملخص
يهدف هذا البحث إلى دراسة هجرة قبائل بني هلال وبني سليم إلى شمال إفريقيا في القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي)، مع التركيز على آراء المؤرخين الذين أرّخوا لها، من أمثال ابن الأثير، وابن عذارى المراكشي، وابن خلدون. ويُعد ابن خلدون أهم المؤرخين الذين تناولوا الهجرة الهلالية، والأكثر تأثيراً في المؤرخين اللاحقين (المستشرقين والعرب). وقد توصل البحث إلى دحض النظرة السائدة التي تتبناها كتابات بعض المستشرقين والمؤرخين المحدثين، والتي تحمّل قبائل بني هلال وبني سليم مسؤولية دمار وتخريب المنطقة سياسياً واقتصادياً واجتماعياً. كما تم إيضاح دوافع الهجرة (السياسية والاقتصادية) والأثر الحضاري للقبائل الهلالية، وتفصيل أحداث سيطرتهم على القيروان سنة 449هـ (1057م).

الكلمات المفتاحية: الهجرة الهلالية، بنو هلال وبنو سليم، الآثار الحضارية، التحامل التاريخي، برقة، طرابلس.

المقدمة

تُعد ظاهرة الهجرة من الظواهر المتكررة في حياة الأمم والشعوب، وقد شكلت الهجرات العربية من شبه الجزيرة العربية إلى المشرق وشمال إفريقيا جزءًا هامًا من التاريخ الإسلامي. وعلى الرغم من أن الهجرات العربية إلى بلاد الشام ومصر حظيت بالبحث والدراسة بشيء من التفصيل، فإن الهجرات العربية إلى شمال إفريقيا وبلاد المغرب، وخاصة فيما يتعلق بإقليم طرابلس وبرقة، ما زالت لم تحظَ إلا بالقدر الضئيل من الدراسة والاهتمام، وتتطلب المزيد من الجهد والبحث.

مراجعة الأدبيات السابقة ومشكلة الدراسة

تناولت بعض الكتب والدراسات هذا الموضوع، ومن بينها كتاب الهجرة الهلالية إلى إفريقيا الزيرية للمؤلف عبد الجواد الصادق (الصادق، 2007)، الذي يُعتبر دراسة شمولية موسعة ركزت على وصف الاضطرابات والفوضى وقيام وسقوط المراكز السياسية، ولكنه لم يتطرق إلى الأوضاع الاجتماعية رغم أنها تُعد من أهم أسباب الفوضى والاضطرابات.

كما يُعتبر كتاب *ماضي شمال أفريقيا* للمستشرق غوتية (غوتية، 1970) أحد الدراسات التي تعرضت للموضوع، والذي اعتبر دخول بني هلال إلى شمال أفريقيا عنصر تخريب وفوضى ودمار .إلا أن المتمعن في سير الأحداث يتبين له أن دخول هذه القبائل لم يكن بهدف التوسع أو السيطرة السياسية، بل كانت نتيجة لضنك العيش في بلادهم، ولم يكن لهذه القبائل أي نبوغ سياسي يمكنهم من تأسيس دولة. وما يود الباحث الإشارة إليه هو أن أحداث هذه الهجرة لم تَعْدُ كونها صراعًا من أجل العيش والبقاء في ظل التحركات البشرية الطبيعية (الغنيمي، 1994).

إن الهجرة الهلالية، موضوع هذه الدراسة، وما خلفته من آثار بعيدة ما زالت تعيش في الوسط الاجتماعي الليبي، لم تكن مسؤولة عن كل الخراب في المنطقة خلال القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي)، لأنه كان فترة زمنية عمت فيها الفوضى المنطقة بكاملها. وعلى الرغم من اختلاف الآراء حول هذه الهجرة من حيث الدوافع والأهداف والآثار العديدة (السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية أو الثقافية)، وما أحيك حولها من خرافات وأساطير، وما لحق بهذه السيرة من تشويه، فقد أوجب ذلك إعادة النظر في تهمة تدمير وخراب المغرب العربي التي أُلصقت بهجرة بني هلال وبني سليم، والتي أصبحت مبررًا لكثير من المؤرخين والباحثين في تبرير الدمار الذي حل بالمنطقة واقتصادها.

أهداف الدراسة وتساؤلاتها

تمثل هذه الدراسة محاولة لإعادة دراسة أحداث هذه الهجرة وآثارها على برقة وطرابلس، وتستهدف الإجابة على التساؤلات البحثية التالية:

1. هل كانت قبائل بني هلال وبني سليم مسؤولة عن الخراب والفوضى التي عمت ولايتي طرابلس وبرقة خلال القرن الخامس الهجري؟ أم أن المنطقة كانت أرضًا خصبة لمثل هذه الأعمال؟
2. ما الأسباب التي دفعت قبائل بني هلال وبني سليم إلى الهجرة؟
3. ما مدى صحة تهم الخراب الموجهة إليهم؟
4. هل كان لهم دور فاعل في الحياة الاجتماعية والاقتصادية في برقة وطرابلس؟ وما مدى تأثيرهم على التركيبة الاجتماعية؟

5. كيف تمت عملية الاندماج مع السكان المحليين بعد عملية التكيف معهم، خصوصًا بعد الصراعات الأولى؟
6. ولماذا فشل بنو هلال في تكوين دولة؟

منهجية الدراسة ومصادرها

واجهت هذه الدراسة عائق ندرة المصادر والمراجع التي تحدثت عن هذه الهجرة بشكل حيادي، مما جعل الموضوع شائكًا وليس سهل المنال، خصوصًا في غياب المصادر العربية التي تتحدث عن الهجرة من منظور اجتماعي وكونها حركة طبيعية تتعرض لها أغلب الدول. كما أن أغلب الدراسات السابقة، وفي طليعتها كتابات ابن خلدون، تتحامل على بني هلال، وهو ما أتاح الفرصة للمؤرخين الغربيين للنيل من العرب والحط من شأنهم.

اعتمد الباحث في إعداد هذه الدراسة على المنهج الوصفي والمنهج المقارن .وقد كان في مقدمة المصادر كتاب البيان المغرب لابن عذارى المراكشي (1983)، وكتاب تاريخ ابن خلدون لابن خلدون (1968)، وكتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير (1979). أما المراجع الأجنبية فأهمها ما كتبه مايكل بيرت في كتابه مجتمع المتوسط، وكذلك روجر هادي في كتابه البربر الشرقيين، وعدد من البحوث المنشورة في الدوريات مثل بحث" بنو هلال ودورهم في الجهاد "الذي نُشر في مجلة البحوث التاريخية، السنة الأولى، العدد الأول، 1982م.

هيكلة الدراسة

قُسمت موضوعات الدراسة على النحو التالي:

1. أصل بني هلال وبني سليم وتوجيههم إلى شمال أفريقيا.
2. دخول بني هلال من برقة غربًا وصولًا إلى طرابلس.
3. الصراع بين بني هلال والسكان المحليين.
4. الأثر الحضاري لبني هلال في برقة وطرابلس.
5. الحملة العدائية ضد بني هلال .تلي ذلك خاتمة تتضمن أهم النتائج التي توصل إليها الباحث.

أولاً: بنو هلال وبنو سليم: نسبهم وأحوالهم وهجرتهم إلى شمال أفريقيا

يُعتبر كتاب **ابن خلدون** (1968)من أهم المصادر الأولية التي تناولت أصول القبائل الهلالية، وإن كانت هناك مراجع ثانوية فإن أغلبها تستقي معلوماتها عنه بشكل مباشر. وبالرغم من الإشارة آنفاً إلى ما ذكره ابن خلدون ومن اعتمد على آرائه عن بني هلال وبني سليم يُعد تحاملاً ونيلاً منهم وعليهم، إلا إن الباحث يرى أن حديثه عن أصولهم وفروعهم ليس مجال ذلك التحامل ومما ذكره في هذا الشأن ربما لا يعدو الحقيقة.

1- النسب والموطن الأصلي

تنتمي قبائل **بني هلال وبني سليم** إلى القبائل العربية العدنانية، حيث ينحدر أصلهم إلى مُضَر وينتسبون إلى **قيس عيلان** .وتجتمعان في نسبهما في جدهما منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مُضَر. ينتمي بنو هلال إلى هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصعة بن قيس بن عيلان بن مُضَر بن نزار بن مَعَدّ بن عدنان، وبنو سليم أبناء عمومتهم من ولد سليم بن منصور بن عكرمة بن خصعة بن قيس بن عيلان (ابن خلدون، 1968، ج 6، ص 27).

لقد كانت بطون هلال وسليم من مُضَر أحياءً ناجعة في قفار الحجاز ونجد (ابن خلدون، 1968، ج 6، ص 27). بينما وطن بنو سليم ضواحي المدينة المنورة، سكن بنو هلال سفوح جبل غزوان عند الطائف (ابن خلدون، 1968، ج 6، ص 27). تميزت أراضيهم بخصوبة تربتها ووفرة مياهها، كما اشتهرت بإنتاج العسل من جبلها. بالإضافة إلى الزراعة، فقد اشتغلوا بالتجارة، وكانوا يشتركون في رحلتي الشتاء والصيف، وهيمنوا على الطرق التجارية مع الشام والعراق التي تمر بهم، حيث كونوا علاقات تجارية قوية مع قريش بمكة، كما كان لهم علاقات تجارية مع اليهود في يثرب (علي، 1993، ج 5، ص 519).

2- دورهم في العصر الإسلامي

عند ظهور الإسلام، دخل العديد من رجال القبيلتين فيه في فترة مبكرة، لعل أشهرهم نعمان بن عمرو من بني سليم، وهو صاحب راية المسلمين يوم أحد. واشترك بنو هلال وبنو سليم في فتح مكة، كما اشتركوا في غزوة حنين (سنة 8هـ / 629م). وبعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، شاركوا في حروب الردة ثم كان لهم مشاركتهم في الفتوحات الإسلامية خارج الجزيرة العربية، حيث استقر الكثير منهم في الكوفة والبصرة وخراسان والشام والمغرب والأندلس. كما شاركوا في العديد من الثورات التي قامت ضد الدولة الإسلامية، منها انضمامهم إلى ثورة عبد الله بن الزبير ضد بني أمية (ابن الأثير، 1979، ج 3، ص 350).

في عهد الدولة العباسية، انضم بنو سليم إلى بعض الثورات التي قامت ضد العباسيين، ومنها ثورة محمد بن عبد الله النفس الزكية، وأعلنوا العداء للخلافة العباسية، ومن هنا بدأت تسوء العلاقات بين بني هلال وسليم مع الخلافة العباسية، حتى انتهى الأمر بخروجهم عليها. عمدوا إلى إشعال الفوضى وإثارة القلاقل والاضطرابات في الدولة، الأمر الذي جعل الخليفة العباسي الواثق بالله يُرسل حملة (سنة 231هـ / 845م) لتأديبهم، وبرغم من ذلك عجزت الدولة العباسية عن قمعهم والتخلص منهم (حسن، 1964).

3- التوجه إلى مصر (ما قبل الهجرة إلى إفريقيا)

عندما سيطرت دولة القرامطة على منطقة الشام وشبه الجزيرة العربية، انضم بنو هلال وبنو سليم إلى القرامطة رغبة منهم في العصيان والخروج عن النظام العباسي، وقد كانت جماعاتهم منتشرة في الطرق المؤدية إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة (الغنيمي، 1994، ج 2، ص 145).

بعد أن تغلب بنو الأصفر على البحرينيين في 378هـ / 988م باسم الدولة العباسية، طُرد بنو سليم أعوان القرامطة، ولما انهزم القرامطة في عهد الخليفة الفاطمي العزيز بالله، انسحبوا من الشام إلى البحرين. فنقل العزيز من كان معهم من بني هلال وسليم إلى مصر، وأنزلهم بالجانب الشرقي من بلاد الصعيد، فأقاموا هناك وأضروا بالبلاد (المقريزي، 1948، ص ص 87، 89). ويقول ابن خلدون: "ولما تغلب شيعة ابن عبد الله المهدي على مصر والشام وكان القرامطة قد تغلبوا على أمصار الشام فانتزعها الخليفة الفاطمي العزيز منهم وغلبهم عليها وردهم على أعقابهم إلى البحرين ونقل أشياعهم من عرب هلال وأنزلهم بالصعيد في العدوة الشرقية من بحر النيل فأقاموا هناك" (ابن خلدون، 1968، ج 6، ص 27).

تحرك بنو هلال وبنو سليم على شكل موجات بأعداد هائلة وتحولوا وحداناً وزرافات إلى مصر حتى لم يبق لهم عدد ولا بقية بالحجاز أو الشام أو البحرين، وقد ملأت جموعهم الجهات الشرقية من الصحراء المصرية حتى بلغوا الصعيد الأعلى ولبثوا في مصر زمناً، وانضمت إليهم جماعات شتى من القبائل العربية الأخرى (الغنيمي، 1994، ج 2، ص 145). وقد كان اسم بني هلال علماً عاماً على هذه الجماعات المتنوعة المتحالفة، لعل السبب في هذه التسمية ما كان لهلال في ذلك الحين من نصيب في زعامة هذه الجماعات (مؤنس، 1992، ص 593). وقد أقطعهم الخليفة العزيز الفاطمي الأراضي وأجرى عليهم الأرزاق حتى منطقة عيذاب (مؤنس، 1992، ص 593). ويذكر المقريزي أنهم كانوا قد شغبوا وأثاروا القلاقل في هذه

المنطقة وأن العزيز ومن خلفه من خلفاء الفاطميين حرموا عليهم عبور النيل من الضفة الغربية (المقريزي، 1948، ص ص 87، 89).

ويقول ابن عذارى: "أباح بنو عبيد للعرب مجاز النيل وكان قبل ذلك ممنوعا لا يجوزه أحد من العرب" (ابن عذارى، 1983، ج 1، ص 288). ولكن لم ترد أدلة قاطعة على ذلك، حيث يذكر بعض المؤرخين أن هناك جماعات من الهلاليين عبرت النيل واستقر الكثير منهم في غربه، ويذكر أيضًا أن هناك ما يدل على أن جماعات منهم وصلت إلى **برقة وطرابلس** قبل أن يبعث بكتلتها وزير المستنصر الفاطمي إلى بلاد المغرب (مؤنس، 1992، ص 593).

ثانياً: دخول بني هلال إلى برقة وطرابلس

بعد أن استقر الحكم الفاطمي في مصر، قام الخليفة العزيز بالله بنقل أنصارهم من قبائل بني هلال وبني سليم إلى مصر، وأنزلهم في العدوة الشرقية من النيل في صعيد مصر. وقد سبب استقرارهم في الصعيد أذىً ونفوراً كبيراً للسكان المحليين، مما جعل الخلافة الفاطمية لا ترتاح لوجودهم وترغب في التخلص منهم.

وعندما خرج المعز بن باديس الصنهاجي عن طاعة الدولة الفاطمية، وقطع خطبة المستنصر الفاطمي، وتحول عن المذهب الشيعي إلى المذهب السني المالكي سنة 440هـ / 1048م (ابن الأثير، 1979، ج 9، ص 566)، وجد وزراء الخليفة الفاطمي في ذلك فرصة سانحة للتخلص من عرب بني هلال وبني سليم، وفي الوقت نفسه معاقبة المعز بن باديس على تمرده واستقلاله عن الدولة الفاطمية.

لذلك أعطى وزير المستنصر الفاطمي، الحسن بن علي اليازوري، الإذن للهلاليين بعبور النيل والاتجاه إلى بلاد إفريقية، بعد أن أيقن رجال البلاط الفاطمي أنه لم يعد هناك أمل في عودة المعز بن باديس إلى الولاء الفاطمي (مؤنس، 1992، ص 600).

ويؤيد الباحث الرأي القائل بأن بني هلال وبني سليم وأحلافهم من العرب كانوا يتسربون إلى الغرب بعلم من الدولة الفاطمية، وكانوا يضغطون على الإدارة الفاطمية لتأذن لهم في المسير إلى المغرب العربي بكتلتهم. وكان الفاطميون يخشون في بداية الأمر هذا الزحف، لكون الهلاليين وحلفائهم أهل قلاقل وفوضى وحروب، ويميلون إلى ممارسة حياتهم القبلية الصرفة. ولم يكن وزراء الفاطميين يجهلون أن هذه التجمعات الضخمة ستسبب مشاكل واضطرابات في الغرب، ولكنهم اضطروا للسماح لهم عندما بلغ بهم الغضب على المعز بن باديس مداه، لا لكونه قطع العلاقات فحسب، بل لأنه أمر بسب الفاطميين على المنابر ودخل في طاعة بني العباس (مؤنس، 1992، ص 598).

ويؤكد ابن الأثير: "دخلت العرب إلى أفريقية، وسبب ذلك أن المعز بن باديس خطب للقائم بأمر الله الخليفة العباسي وقطع خطبة المستنصر العلوي، صاحب مصر سنة أربعين وأربعمئة، فلما فعل ذلك كتب إليه المستنصر العلوي يتهدده، فأغلظ المعز في الجواب" (ابن الأثير، 1979، ج 9، ص 566).

بعد أن أذن المستنصر للهلاليين بعبور النيل والاتجاه إلى بلاد إفريقية وأقطعهم إياها، أشار الوزير أبو محمد الحسن بن علي اليازوري باصطناعهم والتقدم لمشايخهم وتوليتهم أعمال إفريقية وتقليدهم أمرهم ودفعهم إلى حرب صنهاجة (ابن خلدون، 1968، ج 6، ص 30).

وأصلح اليازوري بين العرب الهلاليين في الصعيد، وخاصة بين قبيلتي زغبة ورياح حيث كانت بينهم حروب، وأمرهم بقصد إفريقية وملكهم كل ما يفتحونه، ووعدهم بالمدد، فدخلت العرب إلى إفريقية (ابن الأثير، 1979، ج 9، ص 566). وكتب اليازوري إلى المعز بن باديس رسالته الشهيرة يتهدده فيها: "أما

بعد، فقد أرسلنا إليكم خيولاً وحملنا عليهم رجالاً كهولاً ليقضي الله أمراً كان مفعولاً" (ابن خلدون، 1968، ج 6، ص 31).

ويذكر كل من ابن خلدون وابن الأثير أن المستنصر قد أعطى العرب مالاً (ابن الأثير، 1979). ويخصص ابن خلدون هذا العطاء بقوله: "أوضح لأمرائهم في العطاء ووصل عامته بعيراً ودينارا لكل واحد منهم، وأباح لهم إجازة النيل وقال لهم: قد أعطيتكم المغرب وملك المعز بلكين الصنهاجي العبد الآبق فلا تفترقون" (ابن خلدون، 1968، ج 6، ص 30).

تجدر الإشارة إلى أن قصة هذه العطايا التي تصل إلى دينار وجمل لكل فرد تُعد أمراً مستبعداً، نظراً للعدد الهائل من العرب الذين زحفوا إلى المغرب في موجات ودفعات، حيث يقدر عددها ما بين 300ألف ونصف مليون نسمة (كرو، 1991، ص 21). وإذا فُرض جدلاً أن الموجة الأولى كانت في حدود 100 ألف شخص، وقُدر ثمن الجمل بأربعة دنانير (وهو تقدير متواضع)، لكان ما أخذه كل واحد خمسة دنانير، فيكون المجموع الكلي 500 ألف دينار. وهذا مبلغ لا يمكن للدولة الفاطمية دفعه في ذلك الوقت، كونها كانت تمر بضائقة مالية (حسن، 1964، ص 200). وعلى هذا الأساس، فإن دخول العرب الهلالية ومن معهم إلى بلاد برقة وطرابلس وإفريقية في جماعات ضخمة لم يكن إلا موجة عالية من موجات زحف طويل للعرب عبر التاريخ، حتى أن ابن خلدون يعتبرهم" عرب الجيل الرابع "(ابن خلدون، 1968، ج 6، ص 148)، فقد سبقتها هجرات عربية وعقبتها موجات مشابهة.

على كل حال، تحركت أول موجة كبرى من الهلاليين سنة 442هـ / 1050م، واستمرت بعد ذلك في سيل متصل. ثم اندفعت موجة كبيرة أخرى من الهلاليين نحو المغرب العربي سنة 468هـ / 1065م.

ثالثاً: الصراع بين بني هلال والسكان المحليين في برقة

نزلت الموجة الهلالية الكبيرة الأولى من بني هلال وبني سليم برقة سنة 442هـ / 1050م واكتسحوها اكتساحاً، فوجدوا أمامهم أراضي واسعة تصلح للمراعي وتتناسب مع طبعهم البدوي، فاستقروا بها ثم أرسلوا إلى من تخلف من قومهم بشرقي النيل فلحقوا بهم. لم ينتقل بنو هلال من برقة وطرابلس إلى إفريقية رأساً، بل أوفدوا إلى القيروان جماعة منهم على رأسها الشيخ مؤنس بن يحيى بن مرداس الرياحي من قبيلة رياح (إحدى بطون هلال) للقاء المعز بن باديس. استقبلهم المعز بحفاوة، ودهش مؤنس من فخامة بلاط المعز وما في إفريقية من خيرات، فطمع فيها هو وقومه. أعجب المعز بمؤنس الرياحي وحدثه في أن يدعو قومه للمجيء إلى إفريقية، وشاوره في اتخاذ بني عمه رياح جنداً يستعين بهم على بني عمومته بني حماد وخصومه من زناتة (ابن خلدون، 1968، ج 6، ص 288).

اعتذر مؤنس عن عدم قدرته على دعوة قومه إلى إفريقية وتعلل بصعوبة قيادتهم، بل إنه حذره من دخولهم بلاده، غير أن المعز ألح عليه إلحاحاً شديداً (سالم، 1981، ص 668). فقال مؤنس: "إن قومي لا طاقة لك بهم"، مشيراً إلى كثرة أعدادهم، فرد المعز: "هم دون ذلك". فظن مؤنس أنه يستهين بقومه، فوافق وهو يعرف أن قومه سيجتاحون بلاد المعز (مؤنس، 1992، ص 603). وقد أشهد مؤنس بعض رجالات السلطان على شأن تحذير المعز من قومه بني هلال، ثم رحل متوجهاً إلى قومه في ركب عظيم يصفه ابن عذارى المراكشي بقوله: "ركب لم يعدوا نعمة ولا طالعوا حاضرة، فلما انتهوا إلى قرية تنادوا هذه القيروان" (ابن عذارى، 1983، ج 1، ص 288).

وأمام هذا الجمع الهائل من بني هلال، وقف المعز مشدوهاً من هول ما رأى، متذكراً تحذير مؤنس، وأدرك مدى سذاجته في الإلحاح على مؤنس الرياحي في القدوم إلى بلاده. فعمل على اعتقال أخ مؤنس الرياحي الذي كان لا يزال عنده، ثم بعث إلى ابن عمه في القلعة، حماد بن بلكين، يستنصره، وأرسل كذلك إلى المستنصر بن خزرون المغراوي صاحب طرابلس يستغيث به، واستنجد كذلك بنفر من العرب المحليين

الذين يُطلق عليهم" عرب الفتح ."يذكر ابن خلدون أن عدد الذين تجهزوا مع المعز بن باديس بلغ ثلاثين ألفاً .وساروا حتى وصلوا إلى حيدران، وهو جبل يبعد عن القيروان مسيرة ثلاثة أيام. وكان عدة العرب من بني هلال ثلاثة آلاف فارس من خيرة الرجال، وهناك دارت رحى المعركة (ابن خلدون، 1968، ج 6، ص 31).

وقد وصف ابن الأثير المعركة قائلاً: "فلما رأت العرب عساكر صنهاجة والعبيد مع المعز هالهم ذلك وعظم عليهم، فقال لهم مؤنس بن يحيى: ما هذا يوم فرار، فقالوا: أين نطعن هؤلاء وقد لبسوا الكزاغندات والمغافر؟ قال: في أعينهم، فسمى ذلك اليوم يوم العين .والتحم القتال واشتدت الحرب، فاتفقت صنهاجة على الهزيمة وترك المعز مع العبيد حتى يرى فعلهم وقتل أكثرهم فعند ذلك يرحبون على الأعراب. فانهزمت صنهاجة وثبت العبيد مع المعز فكثر القتل فيهم، فقتل منهم خلق كثير، وأرادت صنهاجة الرجوع على الأعراب فلم يمكنهم ذلك واستمرت الهزيمة، وقتل من صنهاجة أمة عظيمة ودخل المعز القيروان مهزوماً على كثرة من معه، وأخذ العرب الخيل والخيام وما فيها من مال وغيره" (ابن الأثير، 1979، ج 9، ص 568).

وفي وصف الهزيمة، يقول الشاعر **علي بن رزق** (ابن خلدون، 1968، ج 6، ص 33):

لقد زار وهناً من أُمَمٍ خيالُ

وانَّ ابن باديس لأفضل مالك

وأيدي المطايا بالزميل عِجَالُ

لَعَمْري ولكن ما لديه رجالُ

ثلاثون ألفاً منهم قد هزمتهم

ثلاثة آلافٍ وذاك ضَلالُ

وبذلك كانت الهزيمة قاصمة لبني زيري، حيث سقط فيها من صنهاجة وحدها 3300مقاتل .وأُسقط في يد المعز بن باديس الذي أدرك جسامة الخطأ الذي وقع فيه، وتحصن في القيروان، بينما حاصره الأعراب واستولوا على الضواحي والقرى (مؤنس، 1992، ص 604).

أصبحت إفريقية تحت سيطرة الهلاليين، وتقاسموا البلاد فيما بينهم مرتين للدلالة على سيطرتهم الفعلية. في التقسيم الثاني (سنة 446هـ / 1054م) (الفرحان، د.ت)، أصبح لبني هلال بلاد إفريقية من قابس غرباً، وكانت طرابلس وما يليها لزغبة، بينما كانت برقة لبني سليم. وأهم بطون هلال التي اشتركت في هذا القسم هي رياح وزغبة والمعقل وجشم وقرة والخلط وسفيان. كما استولى بعض شيوخ بني هلال على أراضٍ إفريقية وحكموها بوضع اليد، مثل عائذ بن أبي الغيث الذي تغلب على تونس وملكها. واتجه عرب المعقل إلى المغرب الأقصى واستقروا في وادي ملوية، بينما حط بعضهم رحاله جنوب السوس. وبذلك ضاعت إفريقية من أيدي بني زيري، باستثناء المهدية. وجد المعز بن باديس نفسه محاصراً في القيروان، فلجأ إلى مصالحة العرب عن طريق المصاهرة، فزوج بناته الثلاثة من شيوخ بني هلال. وعن طريق أصهاره، تمكن المعز من الانتقال إلى المهدية، التي كان يحكمها ابنه تميم بن المعز، سنة 449هـ / 1057م، على الرغم من الجفوة التي كانت بينه وبين ابنه، غير أن الظروف القاسية جمعت بينهما (مؤنس، 1992، ص 604).

رابعاً: الآثار الحضارية لبني هلال على المنطقة

على الرغم من أن الغزوة الهلالية قد بسطت نفوذها على كافة أنحاء الغرب الإسلامي من برقة شرقاً إلى كل الأقاليم المغربية غرباً وصولاً إلى المحيط الأطلسي، إلا أنها، بالرغم من كل هذا الانتشار الواسع، لم تؤسس ملكاً أو تشيد دولة بكيان سياسي كبير مستقل ومعترف به .واقتصر دورهم على سكنى السهول والوديان وإقامة الإمارات الصغيرة، ولعبوا دوراً مميزاً في أوجه الحياة المختلفة، ويُعتبر وجودهم على أرض المغرب الإسلامي منذ منتصف القرن الخامس الهجري حتى العصر الحديث صفحة مضيئة في تاريخ المغرب العربي.

لقد حفظت الغزوة الهلالية وجه المغرب العربي الإسلامي وقامت بصيانته وتركت أثراً حضارياً إسلامياً عظيماً. فإذا كانت الفتوحات الإسلامية الأولى جاءت لنشر الدين الإسلامي بالمغرب، فإن الهجرات الهلالية جاءت لتضيف إلى ذلك الدم العربي وتعدل التكوين الجنسي لسكان المغرب، حتى أصبح اللسان المغربي القديم لا ينتمي ولا يعيش إلا في معاقل الجبال الوعرة، ولا يتميز إلا ببعض الظواهر اللغوية البسيطة (الغنيمي، 1994، ج 2، ص 206).

إذا تصورنا أن قبائل كاملة، شباباً وشيوخاً ونساءً وأطفالاً، يقارب تعدادها من نصف مليون نسمة، تهاجر من مصر إلى المغرب العربي منذ ما يقارب العشرة قرون، نستطيع أن ندرك مدى الانقلاب الذي أحدثته في البنية الأساسية السكانية والاجتماعية والاقتصادية. ونتيجة لانتشار العرب الهلاليين، انتشرت لغة القرآن وتعرّبت بادية البلاد المغربية وطُبعت بطابع اللسان العربي، وأصبح ذلك سمة من سمات البلاد المغربية (غوتية، 1970، ص 297).

ونتجت أجيال أقوى شكيمة وأشد عزيمة وأصلب عوداً. وقد زادت الاتصالات والامتزاج والزواج والاختلاط حتى أصبح اللسان العربي هو السائد والغالب عبر الأجيال المتعاقبة. إن وجود الأعراب بأعداد كبيرة جعل انتشارهم واسعاً، فلم يتركوا شبراً من أرض المغرب إلا وطرقوه وأقاموا فيه في الجبال الوعرة والبوادي والفيافي والسهول والوديان، مما أدى إلى تغيير التكوين البشري للمغرب بأقسامه المختلفة (الأدنى والأوسط والأقصى)، حتى أنه لم يعد للسان المغربي القديم إلا بقايا. هذا وقد اختلط الأعراب مع السكان الأصليين اختلاطاً تاماً، فأصبح المغرب من أكبر بلاد العروبة وأعمقها إسلاماً. وقد ساعد في هذا الاختلاط والتمازج ذلك الاتفاق والتطابق في أساليب الحياة وتجانسها مع الحياة العربية المغربية في السهول والجبال، فقد كان الأعراب والمغاربة شعوباً بدوية رعوية أو شبه رعوية تمتطي ظهور الإبل والخيل، مما سهل امتزاج العنصرين. وتوغلت اللغة العربية (لغة القرآن الكريم) بين البدو من المغاربة وسكان المناطق النائية بعد أن كانت قليلة الانتشار فيهم، وساعد على ذلك الانتشار السريع والتنقل المكثف للعرب الهلاليين في عهد الدولة الموحدية (الغنيمي، 1994، ج 2، ص 208-209).

ومن هنا، فإن اللسان العربي كان نتيجة طبيعية لانتشار الدم العربي؛ إذ يُعتبر انتشار الدم العربي انتشاراً للسان العربي كتحصيل حاصل. فقد كان الدور الهلالي مكملاً لدور الفتوحات الإسلامية الأولى (الخلافة الراشدة والأمويين والعباسيين)، وساهم في تعريب إفريقية (المنطقة التي هاجروا إليها) إلى بلاد عربية الحضارة والثقافة واللسان، عربية المفاهيم والعادات والتقاليد والقيم والأطر الاجتماعية والتعليمية.

وهكذا، مكن زحف الهلاليين على المغرب العربي من لعب دور اجتماعي بتوطيد النظام القبلي بين القبائل المغربية، وتوطنت اللغة العربية في المغرب الأقصى، حتى قيل إن رجال المغرب أصبحوا اليوم كلهم يتقنون اللغة العربية في الجبال الأطلسية. لقد جعل الزحف الهلالي من بلاد المغرب قطراً عربياً خالصاً نتيجة التقارب الروحي والامتزاج الجنسي والسلالي عبر الزمن، فقد وجد سكان المغرب أنفسهم بعد الفتح العربي الإسلامي إزاء شعب من بني عمومتهم يشاطرونهم ويشاركونهم مُثلهم وعاداتهم وتقاليدهم، ولم يزد توالي القرون هذا التمازج إلا رسوخاً (الغنيمي، 1994، ج 2، ص 213).

ومن مظاهر انتشار العروبة، نجد أن الزحف الهلالي كان له إنجاز ضخم في إقليم المغرب من الناحية الحضارية، فقد ضموا إلى الأمة العربية الإسلامية أمة عظيمة وأضافوا إلى الرقعة الإسلامية منطقة واسعة هي منطقة المغرب العربي. لم تتم هذه الإنجازات بين يوم وليلة، وإنما تمت وفق تدرج بطيء؛ فقد ملأ الأعراب بلاد المغرب بالتدريج، وجاوزوا منطقة برقة بعد أن مكثوا فيها سنين، ثم زحفوا خطوة خطوة، فسكنوا الأودية جماعات تتلوها جماعات على مهل، واختلطوا بالسكان رويداً رويداً، وزاد عددهم. وأصبحت عاداتهم وتقاليدهم وقيمهم وتراثهم الحضاري ولغتهم بعد بضعة قرون هي المغرب العربي بصورته الواضحة. ولقد كان الزحف الهلالي أكثر تأثيراً من الفتح الإسلامي في القرن الأول الهجري، حيث كانت بصماته واضحة لم تستطع القرون أن تمحوها أو تؤثر فيها، فصمد الطابع العربي المغربي أمام الغزو الاستعماري بكل حزم، في محاولة النيل من عروبته أو ثقافته الإسلامية (غوتية، 1970، ص 298، 300).

خامساً: الحملة العدائية ضد بني هلال

لقد اعتمد المؤرخون الغربيون في تحليلاتهم ونتائج أبحاثهم على ما جاء به ابن خلدون اعتماداً يكاد يكون كلياً، دون محاولة تدقيق أو تثبت من هذه الحملة العدائية ضد بني هلال. حتى أن مؤرخي الغرب تحاملوا على كل ما هو عربي متخذين من أقوال ابن خلدون ذريعة على العرب. وأقام المؤرخون الفرنسيون، على وجه الخصوص، هالة إعلامية كبرى حول مصير البلاد والعباد، خاصة زعمهم تنصير للحضارة وخراب للعمران، حيث اعتبروها" كارثة "وأطلقوا عليها اسم" الكارثة العربية أو الهلالية "التي دمرت الحضارة وخربت العمران، الذي شيده الرومان والبيزنطيون قبل الإسلام على حد قولهم. فزعموا أن "هؤلاء الهمج المتوحشين" (حسب تعبيرهم) حولوا كل شيء إلى خراب، وظلت هذه القبائل تذمر وتخرب وتصول وتجول من برقة إلى المحيط الأطلسي، ولم يتوقف التخريب إلا مع ظهور طلائع "الرحمة والنجدة الأوربية" على يد الاستعمار الحديث، حيث تم إنقاذ الجزائر وتونس باحتلال فرنسا، ثم جاء دور المغرب الأقصى فاقتُسم بين إسبانيا وفرنسا، وهكذا عادت الحضارة الأوربية إلى الشمال الأفريقي لتنشر فيه جديد العمران والازدهار بدافع إنساني بحت لا نظير له! (غوتية، 1970، ص 231). وخلال ذلك، تصدى المؤرخون الاستعماريون لتبرير الاحتلال الغربي والمقارنة بين حال البلاد في ظل الإسلام والعرب وحالتها في ظل المسيحية والاستيطان.

والأغرب من هذا أنهم يستندون في مزاعمهم إلى مؤرخين مغاربة، وبالذات إلى ابن خلدون باعتباره أكبر مؤرخ لتلك المرحلة. فترجموا *المقدمة* وكذلك الأجزاء المتعلقة بتاريخ الإسلام في بلاد المغرب. وذكر ابن خلدون عن الأثر المدمر للغزوة الهلالية قائلاً: "أن أفريقيا والمغرب لما جاء إليها بنو هلال وبنو سليم منذ أول المائة الخامسة وتمرسوا بها لثلاثمائة وخمسين من السنين قد لحق بها وعادت بسائطها خراباً لها بعد أن كانت بين البحر الرومي والسودان كله عمراناً، فشهد بذلك آثار العمران من المعالم وتماثيل البناء وشواهد القرى والمدن" (ابن خلدون، 1968، ج 6، ص 41).

يتساءل الباحث: هل كانت آثار الهجرة الهلالية على المغرب بهذا السوء؟ لقد تعصب ابن خلدون ضد الأعراب من بني هلال وبني سليم ووصفهم بـ**"التوحش والهمجية"**، حتى أن بعض مؤرخي العصور الوسطى شاركوا في اتهامهم بتدمير وتخريب بلاد المغرب بعد أن كانت جنة. ويلخص ابن خلدون أفكار من سبقه من مؤرخين في دور الأعراب التخريبي بالمقولة السابقة. ويعلق بعض المؤرخين على قول ابن خلدون الذي وصف المنطقة بأنها" :أقفر من بلاد الجن وأوحش من جوف العبر" (ابن خلدون، 1968، ج 6، ص 45) بالمبالغة والتجني، وأخذ المعلومات التاريخية دون تمحيص أو تحرٍّ، خصوصاً أن حركة الهجرة الهلالية لم يكن لها مؤرخون محايدون يتابعون تحركاتها، ولم يسجل أحداثها إلا مؤرخو بني زيري وبني حماد، ومن الطبيعي أنهم سيقفون إلى جانب الدول المغربية مجاملين لها (الغنيمي، 1994، ج 2، ص 239-241).

ورداً على ما قاله ابن خلدون بأن عرب بني هلال وبني سليم قد أسرفوا في الفساد على طول المنطقة الممتدة من برقة حتى المحيط الأطلسي، فإنه من غير المعقول أن تتسبب بعض القبائل في انحطاط المغرب العربي واسع الأطراف، وتُسهم في تدميره وتخريبه لمدة عشرة قرون متصلة؛ فالقبائل الهلالية لم تكن هي السبب الأساسي لما حدث. كذلك، فإن بعض المؤرخين المعتدلين اتفقوا على أن الخسائر التي لحقت بالمغرب وإفريقية كانت خسائر عادية، بل أقل بكثير مما يحدثه أي جيش في الحروب، وهي خسائر نتجت عن أثر المعارك الحربية التي دارت بين الفريقين، ولم تنتج عن روح تدميرية تخريبية. ولقد وقع على العرب ظلم كبير وجور شديد من جانب ابن خلدون ومن سار على نهجه بالقول: "إنهم دمروا أفريقية ولم يتركوا مكاناً إلا بعد أن صار قاعاً صفصفاً قفراً أوحش من بلاد الجن" (ابن خلدون، 1968، ج 6، ص 45). إن هذا الاتهام فيه مبالغة كبيرة جداً، يدل على ذلك إحصاء المدن التي قيل إنهم خربوها وهي مدن قليلة العدد، كما أن الانقسامات التي حدثت في المغرب خلال القرن الخامس الهجري كانت قد بدأت قبل قدوم الهلاليين إلى إفريقية، ومن ذلك انفصال بني حماد عن أبناء عمومتهم بني باديس وتفكك الدولة الواحدة إلى دولتين. ومن هنا، يمكن القول إن وجود العرب الهلاليين لم يكن سبب الانقسامات ولم يكن العامل الأساسي في ذلك (الغنيمي، 1994، ج 2، ص 243-244).

الخاتمة

لقد مثل هذا البحث محاولة لإعادة تقييم وتحليل دور هجرة قبائل بني هلال وبني سليم إلى شمال إفريقيا في القرنين الخامس والسادس الهجريين، وتفنيد النظرة السائدة التي حملتهما مسؤولية تخريب وتدهور المنطقة. وقد خلصت الدراسة إلى مجموعة من النتائج والاستنتاجات التي تدعم الدور الحضاري لهذه القبائل، أبرزها:

1. تعدد دوافع الهجرة :تبين أن زحف بني هلال وبني سليم من شبه الجزيرة العربية وبلاد الشام واستقرارهم الأولي في صعيد مصر كان مدفوعاً بدوافع سياسية (المتعلقة برغبة الدولة الفاطمية في التخلص منهم وعقاب المعز بن باديس) ودوافع اقتصادية (المتمثلة في التدافع القبلي بحثاً عن الكَلأ والمراعي الأوسع).
2. انتفاء الهدف السياسي :أظهر البحث أن هذه الهجرة الجماعية لم يكن لها طموح أساسي أو تخطيط مسبق لبناء دولة أو كيان سياسي مستقل في المنطقة، بل كانت حركة ترحال طبيعية في البداية.
3. النطاق الجغرافي الواسع :تمكن هذا الزحف خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين من بسط نفوذه على مساحات واسعة، من الحدود المصرية غرباً في برقة وطرابلس، مروراً بكل الأقاليم المغربية، وصولاً إلى المحيط الأطلسي.
4. دحض تهمة الخراب :توصل البحث إلى دحض النظرة المتحاملة التي تتبناها بعض كتابات المؤرخين والمستشرقين (كغوتية وابن خلدون)، والتي تُحمّل القبائل مسؤولية الدمار الشامل؛ إذ أن التخريب الذي حدث كان نتاجاً مباشراً للصراع والحروب بين الهلاليين والقوى المحلية (كصنهاجة)، ولم يكن ناتجاً عن روح تخريبية متأصلة، خاصة وأن المنطقة كانت تعيش فترة اضطراب عامة قبل وصولهم.
5. الأثر الحضاري واللغوي الأهم :كان للقبائل الهلالية تأثير واسع وواضح المعالم والأبعاد الحضارية، حيث ساهمت مساهمة حاسمة في نشر وتوطيد اللغة العربية لغة القرآن، وتعميق الصبغة العربية الإسلامية في المغرب، مما كان له أثر أكبر من الفتوحات الإسلامية الأولى في تعريب البادية والمناطق النائية.
6. الاندماج الاجتماعي والسلالي :ساهمت هذه القبائل بشكل فعال في اندماج التكوين الاجتماعي وامتزاج الدماء العربية بعضها ببعض عن طريق المصاهرة والزواج عبر الأجيال، مما أدى إلى تغيير التركيبة السكانية وتوحيدها، وإرساء اللسان العربي والمفاهيم والعادات والتقاليد والقيم الاجتماعية والتعليمية.

7. المساهمة الاقتصادية والعمرانية :كان للقبائل مساهمات اقتصادية وتجارية عبر سيطرتها على طرق التجارة، بالإضافة إلى إسهامهم في الجانب العمراني المرتبط بحياة الرعي والاستقرار في السهول والوديان.

المصادر والمراجع

1. ابن الأثير، ع. أ .(1979) .الكامل في التاريخ .بيروت: دار صادر.
2. ابن خلدون، ع. م .(1968) .تاريخ ابن خلدون (ج. 6). بيروت: دار الكتاب اللبناني.
3. ابن عذارى، أ .(1983) .البيان المُغرب في أخبار الأندلس والمغرب (ط. 3؛ تحرير ج. س. كولان و ليفي بروفنسال). بيروت: الدار العربية للكتاب.
4. الجنزوري، ج. م.، والجام، ع. س .(2020) .استيطان بني سليم لبرقة وتأثيرهم السياسي والاقتصادي والثقافي .مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية، 3، 125.156–
5. حسن، إ. ح .(1964) .تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر وسوريا وبلاد العرب (ط. 3). القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.
6. سالم، س. ع .(1981) .تاريخ المغرب الكبير العصر الإسلامي: دراسة تاريخية وعمرانية وأثرية . بيروت: دار النهضة العربية.
7. علي، ج .(1993) .المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (ج. 5؛ ط. 2). بغداد: جامعة بغداد.
8. الغنيمي، ع. م .(1994) .موسوعة المغرب العربي (ج. 2). القاهرة: مكتبة مدبولي.
9. غوتية، أ. ف .(1970) .ماضي شمال أفريقيا (ه. الحوسين، مترجم). طرابلس، ليبيا: دار الفرجاني.
10. الفرحان، غ. ي .(د.ت). علاقة القبائل الهلالية بأزمة أفريقية في القرن الخامس للهجرة .مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، 5(2)، 131.147–
11. كرو، أ. م .(1991) .دراسات في التاريخ والتراث .سوسة، تونس: منشورات دار المعارف.
12. المقريزي، ت. أ .(1984) .اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء (تحقيق ج. الشيّال). القاهرة.
13. مؤنس، ح .(1992) .تاريخ المغرب وحضارته من قبيل الفتح العربي إلى بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر .بيروت: منشورات العصر الحديث.

Disclaimer/Publisher's Note: The statements, opinions, and data contained in all publications are solely those of the individual author(s) and contributor(s) and not of **JSHD** and/or the editor(s). **JSHD** and/or the editor(s) disclaim responsibility for any injury to people or property resulting from any ideas, methods, instructions, or products referred to in the content.